بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله تعالى ، نصير عباده، ومعز دينه وأوليائه، القائل (إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ) وأصلي واسلم على أجل داعية ومصلح، دعا وأخلص ورسخ، وما تزحزح عن طريقه وانسلخ، وعلى آل وصحبه الراسخين الثابتين إلى يوم المعاد.

وبعـــد...

فإنَّ من الظواهر البارزة على الساحة الدعوية والإصلاحية، تراجع بعض الرموز الدعوية في غير ما قطر إسلامي، وانتهاجهم خطوطاً دعوية جديدة، لم تكن محل رضا الأمة، بل وُجِّه لهم نقدات هائلة، وتعقبات فظيعة ضاعفت من حجم هذا التراجع سلبياً، وحفزت بعضهم إلى المعاندة والصد، وتأليف الكتب العدائية والخصومية التي لا تليق بأمثالهم !

وهذا التراجع واضح، سواء على المستوى الفكري والمنهجي، أو على المستوى الحضوري والرمزي، وربما أن الثاني كان نتيجه طبيعية للتحول الفكري والمنهجي، الذي حاول بعضهم أن يسِّوغَه بمخارج شرعية وعلمية، وآخرون لاذوا بالصمت المستكين، أو التجاهل المغبون على طريقه :

فعشت ولا أبالي بالرزايا لأني ماانتفعت بأن أبالي!

أو من يردد في غير السياق الصحيح (القافلة تسير والكلاب تنبح)!! مع أنك إذا تأملت ودققت النظر، وجدت أن القافلة قد اعتراها الخلل، ولم يعد سيرها صحيحاً، ولا ضجيجها مسموعا، ولن تبلغ منتهاها ! والله المستعان..

وباتت الدعوه الاسلامية في المنطقة تفتقر إلى القيادات الشعبية الثقيلة التي تشع نسمات الخير، وتؤلف بين الناس وتقضي حوائجهم؟ وتتصدى لمشاكلهم، ويدفع الله بتأثيرها الإصلاحي كثيراً من الفتن، والتطاول الثقافي اللبيرالي، الذي بات يمارس عيانا بياناً، مكفولاً بكل عيون الحراسة، والحفظ، والتأييد.

هذا الزمانُ الذي قد قيل فيه لنا   يغدو الحليم بما يلقاه حيرانا

ولم يكن هذا التراجع الدعوي وليد الصدفة. أو حصل بلا مقدمات ومسببات !! بل إنه كان تحولاً مقصوداًن يظن أصحابه أنهم يحسنون صنعاً ويديرون معركة بكل فراسة القائد، وحنكته، ونباهته !!

ولكن المتأمل يدرك عظم التخبط المصنوع، وهشاشة المقاومة المبذولة وتراجع العمل الخيري الدعوي، وأنها في النهاية تعيش آمالاً زائفة، وتغرد خارج السرب، والمد الليبرالي يستولي على كل شئ ، بل ان بعض الرموز الصحوية عقد صلحاً مؤقتاً أو دائماً مع أعداء الأمس، وبدأ يلاينهم ويصالحم، متجاهلاً قوله تعالى : **(وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ) (القلم : آية** 9)

ولذلك أحببت في هذه الرسالة السريعة، أن أذكر أسباب ومسوغات هذا التراجع، وأناقش هذه الظاهرة وقد كنت كتبت شيئاً أشبه بذلك، يجده القارئ الكريم في :

(حتى لا يتهاوى القُدوات)

و (مستقبل التيار السلفي)

و (صور إفلاس الداعية)

ولكنني هنا أفرد مسألة التراجع الدعوي بحديث مخصوص، لأهمية وخطورة تداعياتها على مستقبل الدعوة السلفية ، سائلاً المولى الحكيم، الفتح، والتوفيق، والسداد إنه جواد كريم..

الثلاثاء

19/10/1431هـ

28/9/2010م

قاعدة نقدية

تعلمنا من تراثنا ومن شيوخنا الكرام، أنه لا يوجد شخص فوق مستوى النقد في العمل الدعوي، بل إن الذي نريد من قبول الداعية وإخلاصه، وحكمته هو اتساع صدره لكل النقدات، والنصائح والاستدراكات.
كما قال تعالى : (إِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ) (القصص : 24) فإذا وعى المسلم الداعية ذلك عرف أن من أساسيات المنهج الدعوي انتفاء السلامة المطلقة لكل داعية، وضرورية اتخاذ النقد وسيلة تقدمية لكل جهودنا وحركاتنا، واتساع السخط الشعبي وضراوته، تقذف بالهم النفسي للفهم والاستيعاب، ووجوب المراجعة، والتصالح مع النفس والآخرين، وقد قال تعالى : **(أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ) (البقرة : 44).**

وصح قوله صلى الله عليه وسلم (الدين النصيحة).

وقال جرير البجلي رضي الله عنه (بايعت رسول الله على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم).
فأرجو أن يعتبروا مثل هذا النقد الدعوي، دائراً في إطار النصيحة الشرعية، وأن الأمة قد وعت المسيرة، وفهمت التحركات، ولم يعد الزمان منغلقاً كالسابق، فوجب النقد والبيان، والكشف والإيضاح، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فعليه السخط، لأن حجم التراجعات المبثوثة لا تحتمل السكوت والإغضاء، بل بعضها يستوجب الإنكار السريع، والتعقيب المباشر، لأنه طفح الكيل بما فيه، ويخشى من تفاقم الشرور، وغرق السفينة، واستيلاء المنافقين على كل شئ.

أسباب التراجع

(1) المأزق المنهجي : قال تعالى (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) (الأنعام : 153).

قامت بلادنا بحمد الله وتعالى، وترعرعت في حديقة الدعوة السلفية، عقيدة وشريعة وعاشت على ذلك من بدايتها إلى عصرنا الراهن، بمعنى أكثر من قرنين من الزمان وقد كان منهاجها، يتضح بالصفاء الديني، والاتباع السني، البارز وكان خطها الفقهي ذا صلة شديدة بمذهب الإمام أحمد رحمه الله وأصوله وطريقة تفكيره، إلى أن ظهر شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، فصارا معتمد هذه الدعوة، ولم يجانبوا، أصول الحنابلة، ولكنهم توسعوا في طلب الدليل والحرص عليه، لاسيما بعد الاحياء التجديدي العظيم الذي بدله الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي، وأخرجت المدرسة جهابذة فحولاً، عاشوا بشبه استقلاليه تامة نحو ابن إبراهيم وابن سعدي وابن باز وابن عثيمين، رحمهم الله تعالى، وعززوا جانب حب الدليل عند الناس والطلبة المختصين.

ولكن صرامتهم النصية، وعزلتهم أحياناً، حالت دون انفتاحهم على المذاهب والفرق الأخرى، وكانت لديهم مسوغات على ذلك كالنفور من البدعة، وتضييق معنى التيار السلفي، وساعد على ذلك انغلاقهم ومكانتهم الاقليمية والدولية والاقتصادية.

ولكن بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر بات السلفيون في مأزق لا يحُسدون عليه، فقد رمتهم الدنيا عن قوس واحده، ومورست عليهم ضغوطات شديدة، تأمرهم بالانفتاح غير المحدود، والتفاعل مع المذهب المنحرفة الأخرى، وإحقاق شئون المرأة ومساواتها بالأخريات العربيات، والتوصية بتعديل مناهج التعليم والاعلام، وإلغاء الشرطة الدينية.. إلخ.

كل هذه التبعات جعلت الاتجاه السلفي في مأزق شديد.. ما يصنع فيه ؟!

لاسيما وأن التربية الدينية السابقة رافضة لأكثر هذه القضايا، ثم إنها تاتي من الخارج وليس من الداخل، وأضحى البلد في حيرة مما يلاقي!! وهَج العدو، وغضبة الداخل من العلماء، والشرعيين والمحافظين!! ولديه تعلق بالتراث السلفي، وناقم على

المستعمرين الجدد، وقد حلّوا في العراق وأسرفوا في افغانستان، واستوقحوا في فلسطين العربية !!
فماذا بعد ؟1
فقام بعضهم بتبني (**خطاب التعايش)** الهزيل، الذي رغم تنازلاته الشديدة زاد من سخط المثقفين الأمريكان، وكأنه يبرر للقاعدة ضرب أمريكا بدعوى أنها ثارث لأسباب ذاتية أهمها الظلم الفادح، والواقع على بلاد المسلمين، فكَتب الأمريكان رداً استيضاحياً، فلم يرد مثقفو الإسلام اليوم إلى هذه الساعة !!

فلا أدري هل جاءتهم أوامر بالكف ؟ أم انهم رأوا مصلحةً، عدم الخوض في ذلك حيث باتوا في خضم التنور والمأزق الفكري الملتهب...!!

فتراهم قد أصابهم ما أصابهم، من الهدوء والتحول والملاينة بسبب عدم انسجام مناهجهم مع تطبيقاتها، وحصول الارتباك عندهم، فلم يقولوا لنا : بدلنا، ولا تطورنا، بل لاذوا بالصمت، ولم يقدم بعضم الحجج العلمية على المنهج الجديد المتبع، والله الموفق، بل إنَّ لدى بعضهم قراءة جديدة لمسألتي (**الولاء والبراء والحاكمية)** والتي طالما ما صُعِّدت بحرارة في أيامهم الحالية الذكر، إما للمأزق المعاش أو لاضطراب معين[1]

---

[1] راجع هنا مقالة الشيخ سلمان العودة وفقه الله (بين الولاء الفطري والولاء الإسلامي) وصخب الردود عليها، لا سيما رد الشيخ الفاضل د. عبد العزيز بن عبد اللطيف، بعنوان(أبعدت النجعة يا ابا معاذ)

(2) الخطاب الفضائي :

قال تعالى : (وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) (طه : 131)

ثمة فوارق شديدة بين الدعوة الفضائية المجردة، والدعوة المسجدية الروحانية، وقد تباين الخطاب بينهما، وصرنا ما كان يقال في المسجد قديماً، صار يقال سواه في الفضائيات، وبات هم الشيخ والعالم إرضاء الملايين، والوصول إلى مساحات من العالم، بخلاف المسجد، الذي حضوره بالمئات أو الآلاف في أقل الأحوال، والنبرة هنا غير النبرة هناك، وثمة فضائيات مبتذلة ومنحرفة، قد انغمس فيها بعض الشيوخ، ففتحوا على أنفسهم باب شر وفتنة، أضعف من خطابهم، ومن دورهم الإصلاحي !!

في حين سابقاً، كان المسجد يحتضنهم بلا قيد ولا شرط، بل شرعية المسجد من صميم الدين ورعاية الأمة، وأما الفضائيات فتُحكم من قبل شرذمة، تمتلك المال وتملى الشروط، وتظهر وتخفي من تشاء ، بلا سؤال ولا رقيب !!

والمحصل أن الداعية في المسجد كان طليق الحرية، يشعر بالانتماء الدعوي الخالص، وأما في الفضائية فيحس بالقيود المفروضة عليه من سياسة تلك القناة، وقد يحابيها إلى درجة المداهنة المحرمة، فيقع في مغبة قوله تعالى :

(وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ) (القلم : آية 9).

وربما كان في اطار قناة خليعة منحرفة فيكون مع الذين حذر الله (وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمْ النَّارُ) (هود : آية 113).

وباتت الفضائيات تتاجر بالإسلام، وتغري الدعاة بالملايين الباذخة والدعايات البراقة، حتى كسدت بضاعة بعض الناس، حيث تحولوا من الدعوة الحقيقية إلى التجارة الربحية، وإضفاء الشرعية على بعض التافهين والشهوانيين، فأصابهم الذي حق بهم من التراجع الضعف والهوان، والله المستعان.

وسبق أن كتبت مقالاً في **(أوابد الأشياخ)** عن (**الإعلام إبراز وابتزاز**) نبهت فيه على الظهور الإعلامي غير المضبط، وهروع بعض الإسلاميين للشهرة أو الدعوة المندفعة، بدعوى أنها وسيلة تيسرت، كنا محرومين منها في السابق!!

فآن الآوان لاستثمارها، والحياة فرص !!

ونسوا عاقبة هذا الظهور، وكيف استثمروه الليبراليون لمصالحهم والسخرية من أهل العلم والديانة...
لا بد أن يكون الأداء المسجدي الصادق، والغيور، منقولاً للفضائيات، ونحن مع خطاب إسلامي فضائي راسخ ومتزن، ضد الاندراج في مشاريع فضائية مشبوهة، أو المشاركة في قنوات خليعة بلا مسِّوغ، رغم وجود الفضائيات الإسلامية، والمستقلة أحياناً، قال تعالى **: (فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ) (التوبة : 95)**
وقال سبحانه : (فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ) (النساء:140)

(3) ضعف العطاء المسجدي :
قال تعالى : (لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ) (التوبة : 108).
وهذا سبب ناتج عما سبق، حيث أُعطيت الفضائيات كل جهد الدعاه وغرّتهم وبذلَهم، وأُهمل المسجد ولم يبق لهم فيه دور، سوى صلاة الجماعة! وإذا خُيِّر أحدهم بين التسجيل في المسجد أو الاستديو؟ اختار الاستديو مباشرة، حيث جمال الصورة، وبهجة المكان، وزخارة المشاهدين، والذيوع السريع، ولا حول ولا قوة إلا بالله.
لا يمكن للداعية الفضائي أن يتجاهل الدور المسجدي في الدعوة، وكيف أنه يكتسب روحانية باهرة، تأثيرية آسرة، فلا يسوغ له اختزال جهده كله للفضائيات، ويحرم المسجد من ولوعة ونبوغه !!
بل يصور من المسجد، ويجمع بين الحسنيين، ولا يتقالّ نواة الدعوة الأولى، ومحضن التربية الأساسي، الذي شع منه النور، ورسخ الخير، ولايزال هو المؤثر الجوهري الحيوي في حياة شعوب الأمة.
لكن بعض هؤلاء الدعاه غفر الله لهم اغتر بالمجد الفضائي، وزهد في الدعوة المسجدية، وبات يقارن بين سرعة الانتشار وكثرة الحضور والمشاهدة، ونحن نقول لا يمكن المقارنة بين بقعة صغيرة من الأرض وقناه فضائية طيارة ! ولكننا نقول يمكن التصوير من المسجد، ونقل الدرس فضائياً والكترونيا إلى قارات

العالم المختلفة، ثم إن المسجد مع ضيق بقعته بالنسبة للانفجار الفضائي، إلا أنه لايزال يحتفظ بصلاة الجماعة، والنورانية الروحانية الجاذبة والتأثير الآسر، حيث يجئ الناس إليه بلا قيود، أو تقليب ريموت وسيع للقنوات حتى يظفر بالموعظة الدينية!! نقول للداعية الفضائي المنضبط : زادك الله حرصاً ولموعا.. ولكن لا تحرم المسجد من البلاغ والدعوة، فإن له سحراً وجاذبية، لا تملكها أضخم الفضائيات، وذلك فضل الله يهبه لمن يشاء، وهو واسع المن والفضل.

(4) التغيير المفاجئ :

قال تعالى : (**فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ**) **(آل عمران : 146)**

لم يقدم بعض الرموز الإسلامية عملية تمهيدية للتغير الجديد، ولمسلكه الحديث، بل أتى الناس هكذا على غِرة، ناسفاً أصوله السلفية، ومبادئه الدينية القديمة!! وأراد من الجماهير تفهم ذلك، وبلعه بلا مشقة وأتعاب !!

وهذا غير مجد في العملية الإصلاحية، وتلقائياً سيضر بأصحابه، لأن الناس حتى وإن خالطهم شئ من السذاجة ليسوا من البلاهة بمكان، بأن يستغفلوا هذا الاستغفال التام من غير تقديم مقدمات ممهدات، وأحوال مسوغات.

أما أن يأتي هذا التغيير هكذا بدون مرحلة انتقالية، مشفوعة بالعلم الصحيح، والعقل الرجيح، فأظن أن هذا بلا شك، سيورث تراجعا في شعبية الداعية وقبوله وكلمته الحية...

أن تتحول هكذا من منهج الإنكار الصارم، إلى الليونة الباردة، ومن تعرية الفساد، الى التغاضي عنه، ومن نقد المنافقين إلى مهادنتهم ومن إلهاب الجماهير الى مسخهم وتدمير طاقاتهم، ومن الشموخ السلفي العزيز الى منهج إسلامي إخائي حتى مع المجرمين...

فهذا وأسبابه، لا يمكن للناس تجاهله بلا مقدمات مبذولات. ومصيرة إلى الخيبة والهوان. وهو مفرق محوري للتراجع والهبوط!!.

ونحن هنا لسنا ضد المراجعة العلمية والتصحيح الفكري لكل مسيرة دعوية، ولكننا نريد التغيير للأفضل، والتطوير للأكمل والأحسن، ووفق الدليل والبرهان .
وكل عاقل بصير، يجري مع المراجعة، وتجديد الرؤى، وتحديث الممارسات، بما لا يتصادم مع المنهج الإسلامي السديد، وألا يتنكر لتراثه التربوي السلفي، الذي عاشت عليه أجيال، وتربت عليه أمم، وخرّج علماء أجلة، وفقهاء مهرة، كان لهم حضورهم، ودورهم الدعوي البارز. والمشكلة الأخطر هنا أن بعض الرموز تريد الانعتاق من الفكر الوهابي نهائياً لا سيما بعد المنابذة الدولية لكل أدبيات هذا الفكر، وليس إصلاحه أو تجديده !!

(5) الهجمة الشرسة :

قال تعالى : (وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) (إبراهيم : 46)

كانت أحداث الحادي عشر من سبتمبر (2001م) فرصة تاريخية للغرب الكافر لاسيما الأمريكان ليحكموا قبضتهم على كل ما هو إسلامي، ويحاربوة جهاراً نهاراً، رغم أنها تتهم بالمسلمين بتنفيذها، الا أن ثمة رؤية غربية وأمريكية تقطع بتسهيل الأمريكان لمثل ذلك، أو تدبيرها لإعادة صياغة التاريخ والحياة الإسلامية كما يريدون، ووفق هواهم وأمانيهم...
فرقعوا شعار (**الحرب على الإرهاب**) وافتعلوا هذه الشماعة المتنقلة في كل مكان، وتحت أي ظرف ! لا يحول عنها درع ولابشر، أو خوف، لا قطر، حتى إنهم قد أدخلوا قوى المقاومة المشروعة لاحتلالهم تحت المنظمات الإرهابية. ولم يستطع أي نظام عربي رفض ذلك، ولما وصلت (حماس) إلى السلطة، قاطعوها وحاصروها، وأجبروا العرب على ذلك، أضف إلى تضييقات أخرى على مستوى الدين، والاقتصاد والتعليم، والإعلام والحياة الاجتماعية لا يكاد جانب يسلم من تدخلاتهم، وإشرافهم الداني الملاصق.
وفي ظل ذلك باتت الرموز الدعوية في حرج بالغ أمام أنظمتها، فرأت أن تختط مسلكاً هادئاً، لطيفاً ، أو مهيناً يتسم بالشعارات التالية :-

1) هجر الألفاظ الشديدة تجاه الغرب والعلمنة والمذاهب الهدامة الداخلية.

2) عدم الصدع بمشروع المقاومة للمحتلين، وذكره على استحياء لئلا يتهموا بالإرهاب، أو يدخلوا في مأزق المنع والإيقاف.
3) ولوج دائرة التسامح، الممدودة التي لا تكاد ترفض شيئاً، فصادقوا العلمانيين والمنافقين، والمأجورين، والمعتدين، والمبتدعين، وانضموا لبياناتهم وطروحاتهم تحت مسمى التسامح ونشر الدعوة والوحدة الوطنية واللقاء الثقافي والحوار المحلي. وهذا ضاعف من تراجعهم جداً...
4) التركيز على الخطاب الفضائي الأممي، وإهمال الشأن المحلي والمسجدي، وتحول بعضهم إلى داعية بلا شئ !! طيار، كل يوم يحل في بلد مختلف، وغير مقدم للحديث المفيد...!
5) عدم وضوح الرؤية لذى بعضهم! حيث صار كالمتحدث المتلون، المتكيف مع كل ظاهرة وحدث! وقد سبق ناقشت ذلك في رسالة لطيفة مخيفة، اسمها (**التكيف مع الانحلال**). راجعها إن شئت، والله الموفق.

(6) المنأواة الداخلية :

قال تعالى **: (وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ) (محمد: 60)**

قبل أكثر من عقد من الزمن، كانت الغلبة للإسلاميين والتيار الصحوي السلفي على الخصوص ضد خصومهم من العلمانيين والحداثيين، وركلهم الإسلاميون ركلاً، طمس به وجودهم، حتى الأندية الأدبية التي كانت تبرزهم حوصرت من مفكري الصحوة، فقضى عليهم قبل ولادتهم، وكان البلد يحرص على سقوط هؤلاء، ولو أظهر لهم الارتياح الفكري ابتداءً.
أما الآن، فإن الأمور قد تغيرت، ورأى صانع القرار أن أحداث سبتمبر قد جرت عليهم الويلات، وحوصروا، حصاراً شديداً، وتلطخت السمعة الدولية، فلا بد من موقف حازم صارم.
فكانت الرؤية الاستراتيجية، الاستفادة من هؤلاء العلمانيين والليبراليين، ودعم مشروعهم بدعوى الانفتاح والتحضر، ومسايرة العولمة والحياة التقدمية .. وإلا فهو في الحقيقة، انعتاق من التشدد ومجانبة للحياة السلفية، وحصار لأنصار الأمس وجنودهم بسبب كوننا في مأزق وتهديد من جراء أحداث سبتمبر!!.

وهؤلاء لم يحتاجوا إلا فسحة يسيرة ليصبّوا جام غضبهم على التدين وأهله، وعلى الجمعيات والهيئات، وقضايا المرأة والتعليم والإعلام، وتسفيه كل ما هو إسلامي ! وكثيراً ما يتشدقون بأنهم مسلمون، وإذا طالعت كلماتهم، وجدتها مروقاً سريعاً، عن الدين والعقيدة والسلوك كما قال تعالى :

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لا يَشْعُرُونَ).
(البقرة : 11-12)

وأضحى الدعاه الإسلاميون بين فكي كماشة، الخارج يحاصرهم، والداخل الليبرالي يتهجم عليهم ويطالبهم بالمزيد من التنوير والانفتاح، ودفع عجلة التنازلات حتى يكونوا معتدلين دولياً، ومرضياً عنهم داخلين !

وأنه ليس في صالحكم معاداتنا كما صنعتم سابقاً، فالدولة لنا، والصولة ملكنا، ونستطيع قمعكم القمع الفرعوني الشديد .. فكل الظروف في صالحنا.. فاضطر هؤلاء أو وزين لهم مجاراتهم والجلوس معهم تحت سقف واحد، ومشروع واحد وكلمة سواء !

وكان يجب أن يقنعوا الأمة بأن اسم الإسلام، لايزال باقياً على من يعلن الشهادة ولو أتي بنواقض صريحة في مقالاته وكتبه، أو رواياته ولقاءاته الفضائية !

بل إن بعضهم سفراء التقريب ويعترفون بذلك ! ومع ذلك لايزال بعض الإسلاميين يحسن الظن، ويدعو للوحدة والاجتماع، وغض الطرف ! ربما لعله ينصحهم أو يستطيع التأثير فيهم، ولكن للأسف ثبت التغريبيون على مناهجهم وماتوا على ذلك، وتراخى الإسلاميون وتغيرت مسالكهم!! وقد اشتهر قول أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه (**اللهم إني أعوذ بك من جلد الفاجر وعجز الثقة**).

(7) وهج الفتن :

قال تعالى (وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا) (الأنعام : 34)

الفتن إذا اشتدت وتعاظمت، أورثت الرهبة والحيرة، وبات التحرك الدعوي متسماً بالغموض وعدم الوضوح، ولا سيما وأن الإسلام يحارب في كل مكان، والمظاهر السنية والجهادية، محل رصد ومتابعة من أجهزة المراقبة الإرهابية!!.

وصرنا نسمع بسجن الدعاة، وملاحقة المفكرين، ومنع الأدباء، وعدم السماح بدخول داعية إلى بلد ما، وهلم جرا، من أحداث ملهبة عجيبة، تجعل الحليم حيران!!

ومثل هذا المناخ لا يساعد على قول الحقيقة، وبسط الهدى بارتياح، وانتهاج الإسلام الصافي.. فلابد حينئذ من الخوض والملاينة **(وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ). (المدثر: 45)**

ومثل ذلك الجو الملبد بالفساد والقمع والبحث والمطاردة، والغربة الدينية قد يسوغ شكلاً من الهدوء والانعزال، ولكنه لا يسوغ النماذج التالية :

1- **قول الباطل ، والإفتاء بهوى الأعادي والمنافقين.**

2- منابذة المقاومة المشروعة في العراق وأفغانستان وفلسطين.

3- استرضاء المحتل، ومدح نظمه وعدالته، واستبعاد سقوطه حالياً .. رغم الفضائح الداخلية، وخسائر حروبه الظالمة، وأزمة الاقتصاد المنهار.

4- التنكر للقيم السلفية التي تربت عليها البلاد والعباد.

5- المصالحة مع العلمانيين، ومدح كبار رموزهم، ومجالسة المبتدعة لغير نشر حق، أو دعوة إلى كلمة سواء.

6- الإغضاء عن بعض المناكر الداخلية، التي كانت تنكر في السابق عبر صغار طلبة العلم، وليس رمزاً دعوياً، صاحب تاريخ سلفي مشرق!!.

والواجب في مراحل الفتن المتوهجة والبلاءات المتزايده، الصبر والدفع والمقاومة مع حسب الاستطاعة (فَاتَّقُوا الله مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا) (التغابن: 16) وليس التبديل والتنكر والانحلال !! نحن لم نصل إلى مرحلة الإكراه المطلق، والقلة المستكينة، كالتي حصلت للمكيين الضعفاء في مكة، كآل ياسر وغيرهم.. وفيهم نزلت (إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ) (النحل : 106).

فلايزال البلد إيمانياً في غالبه، يحتكم إلى شريعة الله ويجتمع عليها، ويرفض كل شعارات التغريب والفساد والانحلال، نعم توجد هناك أخطاء وتطورات خطيرة، ولكنها لا توجب الاغضاء

والتبديل، والخروج عن المنهج السديد، فالله **يقول (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمْ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ أَلا إِنَّ نَصْرَ قَرِيبٌ).** وآخر الآية كافٍ في التثبيت، وبعث الأمل، والتفاؤل الإيماني العملي.

(8) الضغوطات الدولية :

قال تعالى : **(وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتْ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ) (آل عمران : 118)**

لا يمكن لأحد أن يتجاهل الضغوطات الدولية الممارسة على منطقة الخليج، لاسيما بلاد الحرمين ورمزيتها الدينية والروحية، وتدخل الأعداء في كل شئ ومطالبتهم، بإسلام معتدل، يرفض الجهاد وقوى المقاومة المشروعة، وينظر لأمريكا بعين الرضا والوداد والاجلال!!

وقد انسحب هذا الضغط تلقائياً من صانع القرار على البرنامج الدعوي، وبدأت رموز الصحوة تفهم ذلك وتمارس دور المتفرج، إن لم يكن المداهن ! ومن يأبى إما أن يمُنع ويُحصر، أو السجن كغيره من الرافضين، على حد قول بوش الصغير في حملته الإرهابية العدائية **(من لم يكن معنا فهو ضدنا)** يعني حتى الساكت متهم، حتى ثبت براءته وسلامته من الفكر الإسلامي المتطرف !!

دعاوى يستحي الشيطان منها * ويبرأ من سفالتها الخليعُ.**

فلم يكن موقف الدعاه هؤلاء، وقد ذاقفوا مرارات السجن والحصار، إلا الانصياع، وانتهاج درب السلامة والتسامح والليونه (وكلش زين) باللهجة العامية المحلية.

فتنازلوا عن بعض مبادئهم القديمة، وميعّوا قضايا ثابتة، وانفتحوا على المخالفين عقائدياً وأخلاقياً وفكرياً، وجاءوا بأوابد شديدة، لا يمكن إغفالها أو تناسيها!!

ومسألة الضغوطات الدولية، وهي نموذج صريح لسنة الصراع بين الحق والباطل لم تزل موجودة عبر التاريخ الإسلامي، ويزداد أوارها من زمن لآخر، وربما أنها اشتدت في زماننا هذا بفعل الضعف الإسلامي الواضح، وتغير الحياة وضخامة منجزاتها ،

وتحويل التصنيع المدني إلى عسكري، للإرهاب والسيطرة، والخشية الغربية المتزايدة من الإسلام.. وهذا كله صحيح، ولكن الواجب المقاومة قدر الإمكان، وتقوى الله حسب الاستطاعة، وليس الانهزام، والتراخي، والانعتاق فإن ذلك لم يفعله المسلمون أيام الغزو التتري على بغداد، رغم الهوان المسيطر عليهم، ولم يفعل الأندلس وقد تحول مجدهم إلى ما يسمى بزمان (ملوك الطوائف) بل وجُد الصابرون، والمحتسبون والفارون بدينهم من محاكم التفتيش الوحشية، التي ظلت قروناً عديدة، تحارب أي مظهر إسلامي ؟!

فأين نحن من ذلك ؟!

البلاء شديد، والفتنة طامة، ولكنا بالتعاون والتازر، وتثبيت بعضنا بعضا، ننتصر ونغز كما قال تعالى : **(وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) (التوبه: 71) وقال (وَمَنْ يَتَّقِ الله يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً*وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ). (الطلاق: 2-3)**

(9) التحميض المبدئي :

قال تعالى : **(وَلِيَبْتَلِيَ الله مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ الله مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ). (**آل عمران : 154)

وصح عنه صلى الله عليه وسلم في حديث الصدمة، قوله للمرأة الشاكية المتضجرة والتي لم تعرفه **(إنما الصبر عند الصدمة الأولى)**. كما في صحيح البخاري.

فيمكن أن يُسمى هذا السبب التراجعي (بالتحميص المبدئي)، أو (الصدمة الأولى) التي هي مبدا الانطلاق، وفاتحة الظهور والتمكين، فمن تجاوزها عزَّ وتمكن، ومن شقي بها، تراجع واختبأ وربما تلاين وتصانع على حساب دينه، ومنهجه السديد!!.

كان بعض الرموز الدعوية شديد التأكيد على الثبات والصمود حتى مع البلاء الأشواك ودبجوا محاضرات جميلة في ذلك، وساقوا سير الأئمة كالعز وابن تيمية والمنذر البلوطي وابن المبارك وأحمد، وغيرهم من الأفذاذ الذين امتحنوا، وصبروا، وأعطاهم الله من فضله، وكانوا يربطون قبولهم العالمى، بمسألة الثبات على المبدأ، وعدم التزحزح والركوع حتى أضحى

من أدبيات الصحوه الإسلامية السابقة التركيز على موضوع الثبات وأنشدنا أبيات القاضي الجرجاني العزيزة المنيعة.:

أأشقى به غرساً وأجنيه ذلةً إذن فاتباع الجهل قد كان أحزما

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولوعظموه في النفوس لعُظما.

وحفظنا منهم تلك الأبيات والمواقف الصارمة من أئمة الإسلام، والتي يجب أن تكون ماثلة أمامنا في زمان المحن، وعلى خط الإقتداء.

(أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى فَبِهُدَاهُمْ اقْتَدِهِ). (الأنعام : 90)

وهذا كله لا إشكال عليه ! بل يشكرون غاية الشكر فيه، ولكن ما الذي جرى من عشر سنوات تقريباً ؟!

أولاً : نسيان الماضي العاطر !

ثانياً : السير على خلافه وأضداده !

ثالثاً : بدو ملامح التغيير والتبديل والرضا بأبخس الأثمان، وقد كان بعضهم يطري الرئيس (نيلسون مانديلا) مقاوم النظام العنصري في جنوب أفريقيا، الذي سجن نحو (28) سنة، ولم يغير، لم يتبدل، بل خرج ورشح للرئاسة، وأصاب قمة المجد النضالي في حياته..!!

بينما بعض الرموز هداهم الله، تغير وتبدل، ولم يلق مالاقى الزعيم الأفريقي المذكور، ولله في خلقه شئون!!

(10) المرحلة الجديدة :

قال تعالى : (لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً). (آل عمران : 186)

واشتهر قوله صلى الله عليه وسلم **(إنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً**) كما عند أبى داود بسند صحيح عن العرباض بن سارية رضى الله عنه.

كثيراً ما يتحجج المتغير والمتحول دعوياً باختلاف الأزمان، وأن الدين ليس جامداً!! بل يتجدد حسب المعطيات، وهو يقصد الجوانب الفروعية، عكس الثوابت فإنها لا تقبل التجديد والتطوير ! هذا صحيح.

ولكن صنيعهم ليس تجديداً حسناً بل تغييراً وتمييعاً! وليس معنى وفق المرحلة الجديدة، والمتشعبة والمتلونة الأطياف، أن أتكيف مع الانحلال، بل أصبر وأثبت وأحتسب، كما هو آخر الحديث المستدل به **(عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين، المهدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ، وأياكم ومحدثات الأمور**).

والمؤكد هنا تورط بعضهم في محدثات الأمور، كمن يجيز بعض الأعياد الوطنية والشخصية، ولا يقدم برهاناً سليماً على ما ذهب إليه، ويصطلح مع الليبراليين، ويتعاون مع العلمانيين ولا يُرى له قوس حِجاج أمام الهجمة التغريبية على البلد !!

بل تراخ مكشوف !

وتعاون مفضوح !

وعالمية فارغة !

ودعوة داخلية هزيلة !

وانعتاق سلفي بارز !

وأسباب ذلك بدعواهم :

المرحلة الجديدة، والعالم التقني الزاخر، وكثرة الشرور والفتن، كما قدمناه سبباً للتراجع، والحرب على الارهاب الإسلامي، وجميع مناشطه!!

وإحكام القبضة الأمنية على الدعوة والدعاة، واحتلال بلاد المسلمين وتفشي المناكر والشهوات، ودعاوى تجديد الخطاب الديني، واتهام الإسلاميين المنظم، في أسباب وموضاعات لا تنقضى ولا تنتهي !!

فمناسب في تفكيرهم الاستراتيجي، التكيف مع المرحلة الجديدة، حسب وضعيتها حتى نحقق المكاسب المرجوه من ذلك إلى أن يأتي الفرج، ويفرحنا الصبح بفلقه وسطوعه ! وقد ناقشنا ذلك في رسالة هامة (التكيف مع الانحلال) لعلها ترى النور قريباًن أو يراها النور بلْجةً صبيحة، وقد بينا فيها وهاء هذا المسلك، وأنه ضار على الدعوة وأهلها، وسبب في مزيد من التفلت والانعتاق من الشرائع، والإ فما قيمة الصبر والثبات حتى الممات ! ومرابطون في زمن الأشواك، وأعز دين الله يعزك الله، ومع المحبرة إلى المقبرة وقوله تعالى **(وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً) (الأحزاب:23).**

وغيرها من المفاهيم الصحوية القديمة، إلتي صمت آذان الأتباع، وتلقفها الناشئة بالقبول التام، وصارت تردد في كل محفل بمناسبة وغير مناسبة !!

(11) الحضور البارد :

قال تعالى : **(وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الأَعْلَوْنَ)** **(آل عمران : 139)**.

ونعني به هنا الموقف المتفاعل مع قضايا الإصلاح والدعوة، فثمة نوعان هنا تلبس بها بعض الإسلاميين.

الأول : حضور بارد.

والآخر : غياب واضح.

وقد أصبح هذان الموقفان سمة لكثير من الدعاة، إما أن يحضر ببرود، ويظهر بأناة فارغة، يسميها بعض الكتاب، (**باللغة الصحفية، والروح الإعلامية**) حتى في المناكرالفظيعة نحو التغريب والاختلاط والموقف من قنوات الخلاعة، وإما أنه لا يحضر نهائياً، فيكون في شبه الغيبة الدعوية، ويريد من الأمة الإصغاء لكلامه! والسير وراءه؟!

إن هذا الشئ عجيب !!

لا شك أن كلا المسلكين مما يذهب قبول الداعية وشعبيته، ويوقعه في مأزق وحرج مع الناس.

فالسلوك الأول الصحافي، بالنسبة للعلماء مهين مشين ، أن يصبح العالم كالصحفي، أو كما سماه بعضهم (**الشيخ الدبلوماسي)**!! ومتى كانت الدبلوماسية محببة للشيوخ والأعلام ؟! وهي مبنية على المراوغة والغش والتدليس، لا سيما إذا طالت وبولغ فيها، ولكان استعملها الإمام أحمد رحمه الله مع من أشار إليه بالتورية.. وعرف احمد انتظار الناس لرأيه واعتقاده، وحضور الكتبة لتسجيل الاعتقاد النهائي

والمسلك الآخر، وهو وإن كان أهون من السابق إلا أنه يوحي بجبن الداعية، وعدم امتطائه لدوره وواجبه الديني والإصلاحي. ويبيت الناس متخبطين ، كيف يصنعون مع الجاري ؟! وربما فقدوا الثقة في علمائهم ودعائهم.

وهنا نتذكر مدى التراجع لجمهرة العلماء في فتنة خلق القرآن، وضخامة النصر والقبول الذي حصده الإمام أحمد بفضل ثباته، وحفظ الله له، لما أدرك عاقبة الزلل وتبديل المنهج الحق.

رغم ما لقيه من بلاء وشدة وقمع ولكنه قال كلمته المشهوره، وقد ذكرها الإمام ابن مفلح في الآداب الشرعية (**لو ُوضع الصدق على جرح لبرئ**).

وقال : (أعز دين الله يعزك الله).

فحضور الداعية في مشكلات الناس جليلها ودقيقها مهم له وللدعوة، لأنه نوع من النصح والبلاغ، ورسالة بالحضور، والاهتمام، وشكل من اليقظة والإِصلاح، وقد قال تعالى :

(لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ) **(آل عمران : 187)**

وقال **تعالى : (لَوْلا يَنْهَاهُمْ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمْ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمْ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ). (المائدة : 63)**

(12) الاتساع الدعوي :

قال تعالى:(**وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْبَشَرِ**) **(المدثر: 31)**

وهذا مع وضوحه واتساعه، إلا أنهم غير واعين لضخامته وتدفقه، وهو نتاج الخطاب الفضائي، وعيش المرحلة الجديدة للصراع بين الحق والباطل، وأن الدعوة باتت عالمية، وصار الكون قرية واحدة، لا يمكن اختزالها في خطاب واحد **فظهرت عدة توجهات :**

1- الجماعات والاتجاهات الدينية السلفية المحافظة وغيرها.

2- الدعاة الجدد، والمودرن، الذين يهتمون بالتحديث والتطوير، وملامسة القيم الجمالية.

3- الخطاب الإسلامي المقاوم لقوى الاحتلال، وصيارفة الاستبداد.

4- دعاة الشباب ومربوهم الذين صار لهم حضور في ظل الفتن والقنوات المستهدفة للشباب ومحاولة لتغريبهم وتمييعهم.

5- أساتذه الفكر والنهضويين، الذين يحاولون إخراج الأمة من مأزقها الحضاري، ومشكلات التخلف والانحدار.

6- أقطاب السياسة، والتحليل الصحافي للمشكلات الدولية.

7- الوعاظ الصرفيون، والمهتمون بالإيمانيات وهداية الناس.

8- المهتمون بالشئون الأسرية والإصلاح العائلي والمجتمعي الأخلاقي والسلوكي.

وغيرها من التوجهات التي أظهرتها المرحلة الجديدة، والانفتاح الإعلامي، الذي لن ينتهي تدفقه توهجه !

ومن سوء الفهم أن يعتقد بعضهم أنه لا يزال في المرحلة الصحوية القديمة، التي لم تشم رائحة الإعلام، وكان يُضيَّق عليها من التلفزيونات العربية الرسمية وكذلك الصحف المحلية والعالمية...

أما الآن فالشواهد على الاتساع الدعوي باتت بارزة للعيان، لا يصح تجاهلها أو ونسيانها، أو معاملة الناس على أصداء حقبة تاريخية انتهت ! ومن هذه **الشواهد:-**

1- انفتاح فضائي باذخ، صار أقل الناس مالا يستطيع إنشاء قناة فضائية على هواه وفكره.

2- الغزو الالكتروني المرعب الذي شق كل الدول، ولم يمكن السيطرة عليه. ومن ضُيق عليه فضائياً انطلق الكترونياً !!

3- الإعلام وتحديثات التلفزيونات الرسمية، ومحاولة التحسين من أدائها دينياً بسبب سبق الزمن لها، وتقهقرها سابقاً.

4- سرعة انتقال الخبر عبر تلك الوسائل وتحول الكون إلى قرية واحدة صغيرة يسمع آخرها حديث أولها، ويتفاعل الجميع مع مشكلات الآخرين!!

(13) المراجعة المغلوطة :

قال تعالى : **(أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا)**
كل عاقل مستنير مع المراجعة الدائمة والتصحيح المتعاقب، لكل الممارسات الدعوية، والاجتهادات العلمية والآراء الفقهية من فترة إلى أخرى، وحين اتضاح الحق، أو نصح الصفوة أو تنبيه التلاميذ والأحبة..

ولا أحد يجادل في ذلك، فقد قال عمر رضى الله عنه **(ذاك على ما قضينا وهذا على ما نقضى)** وفي كتابه لأبي موسى في القضاء **(لا يمنعك قضاء قضية بالأمس أن تراجع الحق فيه، فإن الحق قديم)** ولكن الأدهى والأعجب هنا هو (المراجعة المغلوطة) والقراءة المستكينة أو بالأصح كما سماها بعضهم (الطريق الى العلمانية الإسلامية) كالذي تورط فيه! الكواكبي، ورفاعة الطهاوي، والشيخ محمد عبده وغيرهم من دعاة الإصلاح!! أرادوا التكيف مع العصر المثير الجديد، فراجعوا موروثهم الثقافي، فانقلبوا وهم لا يشعرون!! وجاءوا بالأوابد والعجائب!!

فعلى سبيل المثال مراجعتهم أو قراءتهم الحديثة لمسألة (الولاء والبراء) و(الحاكمة)، و(التعايش مع المبتدعة) و(الشهوانيين)، والخروج في قنوات الخنا والخلاعة، التي لا تفسد لمجرد الترفيه

والتغيير، بل إنها تلك (مشروعاً فكرياً)، ينطوي تحت مسمى (أدلجة الترفية) أو (التسلية المؤدلجة).

حيث تهدف إلى تفريغ الاسلام السلفي من محتواه، وتهوين المحرمات، وتطبيع الفواحش، وتمرير الرذائل والمناكر فظهر من جراء ذلك وتعميقه في حياة الشباب والأمة، أن خرج فيها دعاة بحجة الإصلاح من داخلها، يتعاونون مع المغنين والمخرجين، وهونوا من شأن الغناء والمزامير، وتناسوا جوهر القدوة البراق والراسخ، وميّع بعضهم الثوابت القطعية كالولاء البراء، وأجاز بعضهم الأعياد الغير مشروعة بدعوى سكوت الشرع عنها !

ولماُ سئل عن بعض هذه التحولات قال **: (لا تعتبروا ذلك منهجاً، بل اعتبروه رؤية شخصية)** ولا أدري ما الفرق بين المصطلحين هنا ؟! وهل يمكن للرؤية الشخصية التي يعتبرها أدنى من المنهج، أن تطول السنوات العجاف المتعاقبة ؟!!

ويشاهدها البسطاء من الناس المدة الطويلة ولا يعتبرونها منهجا مسلوكاً !! ثم هل للعالم والفقيه مسلكان منهج، ورؤية شخصية يتفارقان في الحياة الدعوية ؟!!

أضف الى سوء قراءة الواقع الجهادي للأمة، ومقاومة المحتلين، وعدم العدل في تصنيف الأخطاء، وتقويم الناس!!

نعم أن الصدمات والانعطافات تجعل الإنسان يراجع نفسه، ويتهمها ويمحص مواقفه، لا أن يتقلب عليها شرعاً وعقلاً وعرفاً !!

وتنبنى قراءته ومراجعته على أسس، ليست شرعية مستقيمة، وإنما أسسها مايلي:

1 ضغط الواقع اللهيب.

2- الانفتاح المخترق للحدود والقيود.

3- الاغترار بالزهرة البادية والثمرة العاجلة.

4- الشعور بالصدمة من جراء المرحلة السابقة.

5 الحرص على إرضاء الجميع.

والمتأمل لممارساتهم الحالية، واجتهاداتهم الجديده، يدرك أنهم يحاولون فعلاً إرضاء الجميع، وكسب كل الطوائف والجماعات المحلية، فالتغربيون شبه راضين عنهم، والإسلاميون القدامى مختلفون فيهم، أو بعضهم لايزال يحسن الظن رغم التنازلات الشديدة، والجيل الجديد من الشباب منشرح تمام الانشراح.

حيث لم يشهد المرحلة السابقة، ولم يفقه الإسلام بحق !!

وبالمناسبة فبرغم عجائب هذه المرحلة الجديدة فإن جماعة من التغريبيين ليست مسرورةً بما يحصل، بل يريد تنازلاً كاملاً، واستيعاب الخطاب الإسلامي لكل البلايا والمحرمات والمنجزات الغربية، حتى تبنى الدولة الحديثة !! وهو يعلم أن الحضارة الغربية بسلوكياتها لا تنسجم مع الإسلام، وأن الإسلام كامل الفضيلة، وتلك تجمع الفضائل والرذائل وتضم المحاسن المساوئ!

ولكن يريد مزيد الحرج لهؤلاء الدعاة حتى يتم حصارهم وإسقاطهم.

وفي نظره أن درجات السقوط بدأت من سنوات، ومن حين التعلق بالقنوات الخليعة، ومصالحة الليبراليين.

ولهذا تراه منشرحاً لطروحات هؤلاء، ولا ينشرح للآخرين ممن هو على خطهم، وعاش في السجن معهم، وكان أحد منظري الصحوة الإسلامية المباركة في أوج عزها.

الوعي التاريخي للتراجع

الحق أنه ليسوؤنا تراجع رموز دعوية، كان له مجدها الباذخ، وحضورها الفائق، وصيرورتها إلى ارتخاء دعوي، لا قيمة له إلا عند المميعين ودعاة التنوير المغلوط، وشرذمة الليبراليين والتغربيين المعروفين.

وحينما نشاهد ذلك يخالطنا الأسى المرير، والحزن الكئيب، أن ينتهي ذلك المشوار المشرق إلى حصاد مجذود، وثمار مغشوشة، والله المستعان.

ولهذا نحن نناصحهم ونذكرهم كواجب ديني واخائي بيننا وبينهم وبقوله تعالى : (**وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) (العصر : 3).**

ونرى أن الفرصة مواتية للعودة والرجوع الى الحق، وأن المكابرة والعناد ليست من سمات العلماء الربانيين، والدعاة المخلصين لا سيما من لا يزال محتفظاً بشئ من ماء وجهه، وأما من انكسر وانبطح، وشهر سيف لسانه للرد بالجهل والوقيعة بالباطل، فهذا قد أعلن المواجهة، ويجب على كل ذي فقه شرعي سديد، التصدي له ولأمثاله، ضماناً لجناب الدعوة السلفية الطاهرة، التي قامت عليها البلاد المباركة.

قال تعالى **(وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً)**

(الأعراف : 58)

ولذلك نرى أن الوعي التاريخي لمثل ذلك التراجع، يتلخص في النقاط العملية التالية :

1) **استدامة التذكير، والنصح الشرعي والأخلاقي لكل الصامتين والنائين عن الميدان.**
2) **التصدي لكل محاولة عبث فكري تستقصد تمييع الدين، أو الخروج به عن البعد السلفي الرائد، لا سيما المتجاهل للحقائق، والنابذ للأنوار، والجامع للأوابد والعجائب!!.**

وهبني قلت هذا الصبح ليلٌ   أيعمي العالمون عن الضياء ؟!

3) **استنهاض الهمم الدعوية، والعزائم الإصلاحية، لإبراز رموز وقيادات شعبية مؤثرة، تحمل دين الله بكل صدق، ولا تخشى فيه لومة لائم.**

4) **تجاوز التراجع الدعوي بالعمل الدؤوب، وعدم التعويل على أشخاص مبدلين ومميعين، ونعتقد أن الميدان فسيح لكل الاتجاهات والتيارات، ولن يصح إلا الصحيح، ولن يصمد إلا الثابت (أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنْ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (التوبة : 109)**

تساوى بين طلحة وابن ساوى معاذ الله ما هذا التساوي ؟!

5) فقه مسألة الاتساع الدعوي، وأن الميدان انشق من قبل الإسلاميين قبل أن ينشق حالياً إلى طرفين متضادين، إذ أصبحت السلفية سلفيات، وغشيها أسقام وتخبطات، كما قد بيننا في رسالة هامة اسمها (**مستقبل التيار السلفي**) فلا ينبغي حينئذ البكاء على الماضي، والتأسف على حصاد باهت مجذوذ...!!

6) **تقديم المشروعات الحضارية، للإيمان السلفي المتضمن (كالموقف من الانفتاح ومخرجات المدنية الغربية، وقضايا المرأة والإعلام، وتحديث التعليم، واشباهها، وبعض رؤى مفكري الغرب)، وأن لا يترك المجال لمن لا يملك الحزم الشرعي تجاهها أو المرونة الذهنية لحل معضلاتها.**

7) **طرح عباءة القدسية عن الأعلام المشاهير، والرموز الأكابر، بدءاً وانتهاءً، فكيف وقد ألم بعضهم بأخطاء، وحمل آفات وهنات، فيجب حينئذ اعتقاد بشرية هؤلاء، وعدم الوقوف عند مناهجهم الجديدة، المجانبة للمنهج الصحيح، وستكشف الأيام والاحداث المحق من المبطل (وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ) وقد قال الامام مالك رحمه الله في درته الشهيرة (كل يؤخذ من قوله ويُترك، إلا صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم)**

فهؤلاء علماء صلحاء، وليسوا بأنبياء معصومين! فليفهم هذا.

8) **ربط الأجيال بالرؤى والأفكار السليمة، والإعراض عن السير والشخصيات، لا سيما وهي عرضة للخلل والنقص، وهذا خلل منهجي في تربيتنا المشرقية، إذ إن صمود الأفكار والرؤى أكثر من صمود الشخصيات.**

9) **تقديم خطاب دعوي يليق بالمرحلة الحالية، ويضاهي تطوراتها المختلفة، ولا يتشدد إلى درجة الجمود أو يتميع إلى حالة الذوبان، بل يكون خطابا وسطياً معتدلاً، يحافظ على الأصول والثوابت.**

10) **تفعيل الخطاب النقدي الدعوي بكل أفيائه الأخلاقية باعتدال، لأننا بحاجة إلى مثل ذلك لرفع القداسة عن الرموز المخطئة، ولأن العالم الآن بات فسيحاً مع الطفرة التقنية، وملتهباً بكل الطروحات الأخرى، التي لا تشمئز من مثل ذلك، فلماذا الدعوة تكون بمنأى عن ذلك، وتنعزل، لكأنها في العصور الحجرية البائدة!!**

بل إن حجرها على الرؤى الأخرى تكريس للاستبداد، وتقديس لصولة القطب الأوحد. والله الموقف والمعين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين

الفهرس